العنوان:	الإعلام : صناعة الثقافة
المصدر:	مجلة الحكمة
الناشر:	نخبة من علماء الدول الاسلامية
المؤلف الرئيسي:	البغدادي، أبو بكر بن عبدالعزيز
المجلد/العدد:	ع 41
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2010
الشهر:	يونيو
الصفحات:	11 - 18
رقم MD:	147836
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	العالم الإسلامي، الإعلام، الثقافة، الرياضة، مصر، الجزائر، السياسة الإعلامية، التعاليم الإسلامية، القرآن الكريم، المؤسسات التربوية، وسائل الإتصال، الحروب الثقافية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/147836

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الإعلام

صناعة الثقافة

بقلم مدير التحرير

أبي بكر بن عبد العزيز البغدادي

يتجلى صدق قوله صلى الله عليه وسلم: ((إن من البيان لسحراً)) في عالمنا المعاصر أكثر من أي وقت مضى في بيان مدعوم بالتكنولوجيا الرقمية المتسارعة التطور الممزوجة بأحدث صرعات الديكور والتزويق الذي يأخذ الألباب واصلاً إلى عقر الدار مداعباً عقول الصغار والكبار والمثقفين والأميين ومن هو دون ذلك وفوقه.

وإذا كان من المسلم أن نسبة العوام التي تسلم قياد ثقافتها للإعلام المتاح أكثر بكثير ممن لا يسلم القياد لهذا الإعلام ممن يميز بين الغث والسمين والخطأ والصواب والمهم والتافه والصدق والكذب، فإن المصيبة تكون عظيمة في تشكيل الأمم حسب الشكل المخطط، حسب رأي الأغلبية الذي هو ببساطة رأي العوام وهو القوة الفاعلة لا سيما في عصرنا الحاضر عصر الديمقراطية المقدسة.

ربما يكون المثال القريب لهذه المقولة حدث مباراة كرة القدم بين مصر (أم العرب) والجزائر (بلد المليون شهيد)، حيث شغل الإعلام والإعلام المضاد ذهن الشباب وعقلهم وعاطفتهم، بل شغل عقل القادة وأصحاب القرار إلى حد السباب والشتيمة والقتال والقطيعة وقطع الأرزاق والتهديد والوعيد.

لقد كان أمراً محبطاً كل الإحباط لكل مسلم وعربي غيور على دينه وعلى بلاد المسلمين. لم يكن هذا الإحباط في سوء الفهم أو الكذب الذي تناوله الإعلام المفسد الذي ارتبط بهذه المباراة، فالمباراة مجرد لعبة لبالون مملوء بالهواء يجري وراءه عدد معين من الرجال لإدخاله في شبكة باستخدام

الأقدام، ليس إلا. ولكن الإحباط كل الإحباط بالمستوى الحضيض الذي بلغته الأمة وبلغه شبابها. أنا أقول هنا: (الأمة)، ولا أقول: شباب أو قادة مصر أو شباب أو قادة الجزائر، فلا شك أن ما يصدق على مصر والجزائر يصدق على سائر بلاد العرب.

وقد لا يكون الأمر محبطاً جداً لو كانت الأمة بلا أعداء وبلا مهمات وبلا فلسطين سلبية، وبلا عراق محتل، وبلا تخلف اقتصادي أو سياسي أو تكنولوجي أو تنموي، وبلا عظائم أخرى.

نعم؛ لم يصل الأمر إلى التقاتل وزهق الأرواح بين مصر والجزائر ونحمد الله على ذلك، ولكن هل هذه الحادثة نذير ومؤشر لحالة الاستعداد والتقبل لمثل هذا المستوى الحضيض؟ لا شك نعم، بل نعم كبيرة.

يمكن القول: إن أهم العناصر الفاعلة في هذا المثال هما عنصران: الإعلام وسوق الإعلام، أو الإعلام المفسد سواء كان لمقاصد مسبقة التخطيط تقصد إفساد المجتمع وفق أهداف العولمة، أو الإعلام الذي يقصد زيادة المبيعات سواء كان ذلك على حساب القيم الإسلامية أو الإنسانية أم غير ذلك فالمهم هو المال.

أما سوق الإعلام فهي الأمة غير المحصنة وهي الأمة الفارغة من الأهداف، الأمة التي تريد ما يملأ هذا الفراغ حتى لو أن تتقاتل مع بعضها كما يقول الشاعر الجاهلي القطامي عن قومه:

وكن إذا أغرن على جنابٍ ... وأعوزهن نهب حيث كانا

أغرن من الضباب على حلولٍ ... وضبة إنه من حان حانا

وأحياناً على بكر أخينا ... إذا ما لم نجد إلا أخانا

أمة تغضب لحد القتال بسبب غش أو خطأ في مباراة للعبة رياضية ولكنها لا تغضب بوجه الفساد الذي ينخر جسمها ولا تغضب لاغتصاب أرضها ومقدساتها ولا تغضب لتخلفها عن سائر الأمم. نعم قد تشجب وتستنكر وقد تكتفي بالبكاء مثل كل العاجزين.

إن الإعلام في حقيقته هو الدعوة والتربية والإرشاد والتعليم والمعلومات والمعطيات التي تشكل ثقافة الناس وآرائهم ومعتقداتهم وأولياتهم وبالتالي فمن يهيمن على الإعلام يهيمن على العوام بل يهيمن على المجتمع بكامله.

أما واقع هذا الإعلام المهيمن فهو واقع لا يعبر عن قيم أمة الإسلام، بل يعبر عن قيم يكون المطرب المسف فيها هو القدوة فهو أعلى وأرقى من الأستاذ المربي، ويكون الرياضي الأمي ابن الشارع فيها هو القدوة لأنه أرفع من العالم المتخصص. قيم هذا الإعلام تعلم الناس كيف يتنافسون على حفظ أسماء المطربين والممثلين وأئمة العري والفساد عن ظهر قلب، وقل مثل ذلك في أسماء الأفلام القديمة والحديثة والتي كانت الوسيلة التي تخلت من خلالها الأمة عن حفظ الدين والوطن. فما ظنك بمن يحفظ عن ظهر قلب أسماء كل المطربين والمطربات والدورات الرياضية وتواريخها وأسماء اللاعبين وعدد الأهداف، بل وصل الأمر بهذا الإعلام المهيمن إلى تخصيص برامج لصنع نجوم الطرب من بنات المسلمين وأبنائهم بل وأطفالهم، ويدرك الجميع ما هي أبعاد الهدم العظيم لقيم الدين والأخلاق في مثل هذه البرامج الخبيثة.

لابد هنا من القول: إن الأمة تتعرض لهجمة ثقافية هدفها استبدال القيم الإسلامية بالقسم المظلم لقيم الغرب العالمية. ولابد للأمة الإسلامية وقادتها أن يقولوا: إننا نعتز بقيمنا الإسلامية ولا نرضي بغيرها بديلاً. ولابد أن يقولوا: إن على العالم أن يقبلنا على أساس أننا أصحاب قيم إسلامية لم تعرف البشرية أرقى منها ولا أسمى على مر العصور، قيم هي أبعد ما تكون عن الإرهاب والتطرف الذي يعادي أهل الإسلام أكثر بكثير من عدائه لغير المسلمين وإن انتسب لهم بالباطل.

ولابد للأمة الإسلامية وقادتها أن يقولوا للغرب وسائر العالم: إن كل المواثيق والمعاهدات العالمية يجب أن تكون على هذا الأساس على أساس إننا أمة مسلمة تحفظ قيمها ولا تقبل قيماً تعارض مع تلك القيم، سواء كانت تحت عنوان حقوق الإنسان أو حرية التعبير أو حقوق المرأة أو الطفل أو غير ذلك مما جعل الإسلام له قيماً هي أسمى وأرقى من كل قيم الأرض.

إن قيم الإسلام قيم تفرق بين الخبيث والطيب: ((**قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ**)) [المائدة: ١٠٠].

((**مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**)) [آل عمران: ١٧٩].

قيم تفرق بين المصلح والمفسد: ((**وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ**)) [البقرة: ٢٢٠].

والمؤمن والفاسق: ((**أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ**)) [السجدة: ١٨].

قيم تفرق بين الذي يعمل عملاً نافعاً ومن لا يعمل خيراً: ((**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**)) [النحل: ٧٥].

((**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**)) [النحل: ٧٦].

قيم أداء الأمانة والحكم بالعدل: ((**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**)) [النساء: ٥٨].

قيم تأمر بالعدل والإحسان: ((**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ**)) [النحل: ٩٠].

ولو أن تقتص من أولي القربة: ((**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا**)) [الأنعام: ١٥٢].

قيم تنصف العدو وتحفظ حقه:

((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ**)) [المائدة: ٨].

قيم العفة وستر العورة: ((**يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**)) [الأعراف: ٢٦].

قيم التسوية بين الرجل والمرأة: ((**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**)) [الأحزاب: ٣٥].

قيم العدل مع المرأة: ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آَتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**)) [النساء: ١٩].

قيم تبشر من يربي البنات بالجنة: ((من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء **يوم القيامة أنا وهو كهاتين**– وضم أسابعه–)) رواه مسلم.

وغير ذلك من القيم الربانية العظيمة والتي لا يمكن مقارنتها بقيم الغرب التي تؤله المال والشهوة ولو على حساب الفقراء وعلى حساب كرامة المرأة وعفتها.

وفي ظل التكنولوجيا الإعلامية الرقمية المبنية على الجانب المظلم للقيم الغربية تكون النتائج خطيرة جداً، فلابد من وضع رقابة من قبل حكومات الأمة للحفاظ على قيمها الربانية السامية وحفظ شباب الأمة من الضياع المبرمج وسط هذا النخر الإعلامي العالمي المركز باسم حرية التعبير وحقوق الإنسان.

وقد يقول البعض من أرباب هذا الإعلام: نحن لا نلزم الشباب أن يتابعوا برامجنا، فلم الخيار أن يتابعوها أو يتابعوا غيرها من القنوات الدينية والثقافية البناءة الأخرى. نقول: نعم لهم الخيار، ولكن الأمر ليس هو الخيار، فما قيمة أن تعطي العوام خياراً لا يعلمون أبعاده ونتائجه لا سيما إذا كان خيار الإعلام الفاسد منمق ومزوق ويدعي ملائمته مع الدين وقيم الأمة كذباً وزوراً، ثم هو يشدهم إليه ببرامج الرياضة وبرامج الطبخ وشيء من برامج الدين وببعض البرامج النافعة التي هي بمثابة العسل في السم. وما قيمته هذا الخيار إذا كان هو مسيطراً على سوق الإعلام سيطرة التاجر الحوت على التاجر السمكة. ومثل ما منع الشرع الاحتكار الظالم فإن على الحكومات منع وتقييد مثل الاحتكار المفسد لقيم الأمة التي هي أغلى ما لديها، بل وآخر وما تبقى لها.

ثم إن مثل هذه الدعوى يمكن أن يدعيها تاجر المخدرات ويقول: أنا لا أجبر الناس عليها ولهم الخيار في تناول ما يشاؤون، فهل يقبل عاقل في الدنيا مثل هذه الدعوى. لا شك إنها دعوى الشيطان. وكذلك يمكن أن يدعيها تجار الدعارة، فإنهم لا يجبرون الناس عليها وللناس الخيار في الحلال والحرام. بل أن كل فساد في الأرض لا يجبر الناس على فعله ولهم الخيار في غيره إن شاؤوا، وحتى إبليس لا يجبر الناس على الكفر والفساد: ((**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي**)) [إبراهيم: ٢٢].

تنفق الحكومات مبالغ طائلة جداً لتدريس المناهج الدراسية خلال السنوات المنهجية الطويلة لطلاب الدراسة، لهدف إعدادهم لبناء الدولة وتهيئة كوادر بناء الدولة وقادتها، ولكن ما هو القدر الذي سيهدمه الإعلام الخبيث من تلك الجهود والأموال فضلاً عن شباب ضائع لا يعوض، صرفت عليه الجهود والأموال وبنيت عليه الآمال؟

لا شك إن علاج هذه الكارثة منهجياً يستحق كل العناء لوضع مناهج دراسية وميزانية مالية كبيرة تعالج هذا الإعلام الهدام وتحفظ الهدف التربوي العظيم.

فلابد للمؤسسات التربوية إدخال مناهج تقنية الاستخدام الهادف للإنترنت والفضائيات والموبايل مشفوعة بمشاريع عملية يومية تطبيقية تنافسية أثناء الدوام الرسمي وبعده تهدف إلى الثقافة والمتعة الثقافية تتضمن التكريم والجوائز والحوافز.

كما إن على الحكومات في البلاد الإسلامية حصر الفضائيات باستخدام الكابل بدلاً من الصحن، وتشديد الرقابة على الإنترنت بمواكبة التقنيات الحديثة والتحديث.

نعم؛ لا يمكن إحكام السيطرة على الإنترنت والفضائيات، ولكن الهدف هو حفظ عوام الناس الذين لا يقصدون بأنفسهم الفساد ولكنهم يمكن أن يفسدوا إذا تعرضوا له، وربما كان هؤلاء هم الأغلب. ولهذا قال شيخ الإسلام في المجموع (١٠: ٥٢١): من ابتلي من غير تعرض منه أعين، ومن تعرض بنفسه للبلاء خيف عليه. اهـ.

وكما إن الإعلام الخبيث يصنع نجوم الطرب والفسق كما يصنع الزعماء والسياسيين الفاسدين، فإن الإعلام الطيب قادر بإذن الله تعالى أن يصنع نجوم العلم والعلماء والقادة المخلصين والاقتصاديين، ويصنع كذلك اللهو الهادف والمتعة الحلال وهو كذلك يكشف زيف الإعلام الخبيث ويكشف غشه بالنقد العلمي المشروع ليعريه أمام الشباب المنخدع بتزويقه وبهرجته.

إنها في الحقيقة حرب باردة، حرب ثقافية ولكنها لا تقل خطراً عن الحرب التقليدية إذا لم تكن أعنف منها، فكما أن الحرب التقليدية تبذل لها الدول والشعوب كل ما تملك من النفوس والأموال والعقول، فإن هذه الحرب الثقافية تستحق في الحقيقة مثل ذلك أو أكثر، وبالتالي فإن على القادة وكذلك الطيبين من أصحاب المال والعلم والدعوة والبناء أن يستثمروا طاقاتهم بتأسيس القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت في بث ثقافة البناء والتنمية في مختلف نواحي النشاط الإنساني ضمن إطار الثقافة الإسلامية، كما أن عليهم أن يؤسسوا قنوات النقد العلمي البناء لإزالة ما يعلق من غبش وشبهات في عقول شباب الأمة وقلوبها.

((**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)**)) [العنكبوت: ٦٩].